الصّلاة أعظم شعائر الإسلام

(خطبة الجمعة لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –

في اليوم 3 من صفر 1435هـــ الموافق لــ 6 ديسمبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

موضوع حديثنا في هذه جمعتنا المباركة:

الصّلاة أعظم شعائر الإسلام

إخوتي الكرام،

إعلموا أنّ من علامة تقوى الرّجل تعظيمه الأركان، ولذلك قال تعالى عن مناسك الحجّ:

" **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿32﴾** " **سورة الحجّ.**

وكذلك من يعظّم فريضة الصّلاة، فإنّ ذلك علامةٌ على تقوى واستقامة صاحبها.

دأب بعض النّاس أن يقولوا أنّ الإيمان في القلب، ويكفي النّطق بالشّهادتين والتّصديق بهما ليكون الرّجل مؤمنًا، لكنّ الإيمان عند أهل السّنّة والجماعة قولٌ وعملٌ، قال الشّافعي – رحمه الله تعالى – : { **وكان الإجماع من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون:** (**إنّ الإيمان قولٌ وعملٌ ونيّةٌ، لا يجزئ واحدٌ من الثّلاثة إلاّ بالآخر**) }.

قال البخاري – رحمه الله – : { **لقد لقيتُ أكثر من ألف رجلٍ من أهل العلم، وأنّهم يقولون أنّ الدّين قولٌ وعملٌ، لقوله تعالى:**

" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿ 5 ﴾ " سورة البيّنة }.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : (**ويستحيل أن يكون الرّجل مؤمنًا بالله، مُصدّقًا برسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، ثمّ لا يعمل عملاً واحدًا من الإسلام، لا صلاة ولا زكاة** . . .).

أعلم بيوتًا فيها أبناءًا وبناتًا لا يصلّون، ولا يركعون، ولا يسجدون لله تعالى المنعم الرّزّاق.

وهؤلاء على خطرٍ جسيمٍ وجُرْمٍ عظيمٍ، وينبغي للوالدين أن يعلنا صفّارة الخطر، ذلك لأنّ صحابة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – لم يكونوا يَعُدُّوا شيئًا من الأعمال كُفْرًا غير ترك الصّلاة.

قال جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – حينما سأله مجاهد بن جبير – رحمه الله – : (**ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال، على عهد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم** – ؟)،

قال: (**الصّلاة**).

قال أبو هريرة – رضي الله عنه – : (**كان أصحاب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – لا يرون شيئًا من الأعمال، تَرْكُهُ كُفْرًا غير الصّلاة**).

وقال الحسن البصري – رحمه الله – : { **بلغني أنّ أصحاب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – كانوا يقولون: (بين العبد وبين أن يُشرك فيكفر، أن يَدَعَ الصّلاة من غير عُذْرٍ)** }.

وقال شيخ الإسلام في أدلّة تكفير تارك الصّلاة أنّ هذا إجماع الصّحابة.

واعتبر المالكية تارك الصّلاة مرتكبًا للكبيرة إن اعترف بالصّلاة ووجوبها ولكن تركها كسلاً وتهاونًا، فقالوا هو كفرٌ دون كفرٍ.

ويعجبني كلام شيخ الإسلام عبد الحميد ابن باديس – رحمه الله – قال: (**يكفي تارك الصّلاة جُرْمًا، أنّ العلماء اختلفوا في كفره**).

وهناك صنفٌ ممّن يصلّي لكنّ صلاته بدون روحٍ، قال تعالى مُحَذِّرًا من هذه الحالة:

" **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿4﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿5﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)** " سورة الماعون.

قال ابن عبّاسٍ – رضي الله عنه – : (**وجاءت في المنافقين الّذين يصلّون في العلانيّة ولا يصلّون في السّرّ، وإمّا ساهون عن الصّلاة بتركها كُلِّيَّةً، أو يصلّونها عند خروج وقتها كُلِّيَّةً**).

وإنّي لأعجب أشدّ العجب كيف الواحد يترك خروج كلّ وقت الصّلاة، والصّلوات ما هي إلاّ خمس صلواتٍ، رغم أنّها في الأجر خمسين، وهذا من فضل ورحمة الله تعالى بنا.

روى البخاري عن أنسٍ بن مالكٍ أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال:
{ . . . فأوحى إليّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاةً في كلّ يومٍ وليلةٍ،

فنزلتُ إلى موسى – عليه السّلام – فقال: (ما فرض ربّك على أمّتك؟)،

قلت: (خمسين صلاةً)،

قال: (إرجع إلى ربّك فَسَلْهُ التّخفيف، فإنّ أمّتك لا تطيق ذلك، فإنّي قد بلوت بني إسرائيل، وخبرهم)، . . .

فلم أزل أرجع بين ربّي وبين موسى – عليه السّلام – ، حتّى قال: (يا محمّد إنّهنّ خمس صلواتٍ كلّ يومٍ وليلةٍ، لكلّ صلاةٍ عشرٌ، فذلك خمسون صلاةً)،

فقال موسى – عليه السّلام – : (إرجع إلى ربّك وَسَلْهُ التّخفيف) }،

فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : { **فقلت: (قد رجعتُ إلى ربّي حتّى استحييت منه)** } رواه البخاري.

واعلموا إن صَلُحَتْ صلاتنا، صَلُحَتْ سائر أعمالنا، وإن فَسُدَتْ خِبْنَا وخسرنا.

فعن حُرَيْثٍ بن قَبِيصَةَ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: { **سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يقول: (إنّ أوّل ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صَلُحَتْ فقد أفلح وأنجح، وإن فَسَدَتْ فقد خاب وخسر)** }.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

من أراد أن يؤدّي صلاته على أحسن وجهٍ فعليه بالجماعة والحرص عليها.

ولقد حذّر النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – من تَرْكِ صلاة الجماعة، وتاركها قد جعل المساجد كنائس، وتارك صلاة الجماعة ما عظّم شعائر الإسلام.

روى البخاري ومسلمٌ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال:

{ قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (أثقل صلاةٍ على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْوًا، ولقد هممت أن آمر بالصّلاة فَتُقَامُ، ثمّ آمر رجلاً فيصلّي بالنّاس، ثمّ أنطلق معي برجالٍ معهم حِزَمُ حطبٍ إلى قومٍ لا يشهدون الصّلاة، فَأُحَرِّقُ عليهم بيوتهم بالنّار) }.

قال ابن عمر – رضي الله عنهما – : (**كنّا إذا فقدنا لإنسان في صلاة العشاء الآخرة والصّبح، أسأنا به الظّنّ**)، ولا يستعجل في الحكم عليه ربّما له عذرٌ.

قال التّرمذي: (**لا رخصة لأحدٍ في ترك الجماعة إلاّ من عذرٍ**).

ودليل وجوب حضور صلاة الجماعة، ما رواه مسلمٌ من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: { **أتى النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – رجلٌ أعمى،**

فقال: (**يا رسول الله، إنّه ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد**)،

فسأل رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أن يرخّص له فيصلّي في بيته، فرخّص له،

فلمّا ولّى دعاه، فقال: (**هل تسمع النّداء بالصّلاة؟**)،

فقال: (**نعم!**)،

قال: (**فَأَجِبْ**) }.

اتّفق أهل الحديث على أنّها فرض عينٍ، والجمهور على أنّها على الكفاية.

و لم يعذر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أحدًا في ترك صلاة الجماعة إلاّ من عذره الله تعالى مريضًا، كأن يكون مرضًا لا يصل به جسمه إلى المسجد.

ومع ذلك يقول ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – : (**والّذي نفسي بيده، لقد كان يؤتى بالرّجل، يُهادى به بين الرّجلين من المرض، حتّى يُقام في الصّفّ**).

وهذا أحد التّابعين، ثابتٌ بن عامرٍ بن عبد الله بن الزّبير، وهو في مرض الموت، سمع أذان المغرب،

فقال لأبنائه: (**احملوني إلى المسجد**)،

فقالوا: (**أنت مريضٌ! وقد عذرك الله**)،

قال: (**لا إله إلاّ الله!، أسمع حيّ على الصّلاة، حيّ على الفلاح، وأصلّي في البيت؟، والله لتحملوني إلى المسجد!**)،

ولّما سجد السّجدة الأخيرة من صلاة المغرب قبض الله روحه.

يقول أهل العلم: { **كان هذا الرّجل في حياته إذا صلّى الفجر يقول:** (**اللّهمّ إنّي أسألك الميتة الحسنة**)،

فقال له بعضهم: (**ما هي الميتة الحسنة؟**)،

فقال: (**أن يتوفّاني ربّي وأنا ساجدٌ**) }.

الميتة الحسنة يتوفّاك الله وأنت في الصّلاة يتوفّاك على طهارةٍ يتوفّاك وأنت تنفق مالك أو تطعم مسكينًا، أو تفرّج كربة أرملةٍ، والميتة القبيحة يتوفّاك الله وأنت تسمع أغنيةً ماجنةً، أو تنظر إلى سهرةٍ فاجرةٍ، أو على كأس خمرٍ أو سيجارة مخدراتٍ أو في سفرٍ لإرتكاب فاحشةٍ هذه هي الميتة القبيحة أو يتوفّاك الله وأنت تاركٌ للصّلاة والحجاب.

وهذا سعيدٌ بن المسيّب، بيته في أقصى المدينة، ويأتي في ظلام اللّيل إلى مسجد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال له إخوانه: (**خذ سراجًا لترى به الطّريق في الظّلام**)، قال: (**يكفيني نور الله**)، أخذًا بقوله عزّ وجلّ:

" . . . **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿40﴾** " سورة النّور.

قال في سكرات الموت وهو يبتسم: (**والله ما أذّن المؤذّن من أربعين سنةٍ إلاّ وأنا في المسجد**)، فهو قبل الأذان في المسجد.

لكن أرى خَلَفًا أكلوا نِعَمَ الله، وتمرّغوا في بركات الله، ونسوا حظّهم من الله فأصبحت الصّلاة في حياتهم من آخر الإهتمامات، يتركوها بسبب فيلمٍ، يتركوها بسبب تجارةٍ، يتركوها بسبب مقابلةٍ، يتركوها بسبب سياحةٍ.

" **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿ 60 ﴾** " **سورة الرّحمٰن.**

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،
اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،
اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،
اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،
اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،
اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،
اللّهمّ فرّج محنة المصريّين،
إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.